هَاتُوا خُطَامَ النَّاقَةِ!!

الدكتور محمد عمر الحاجي

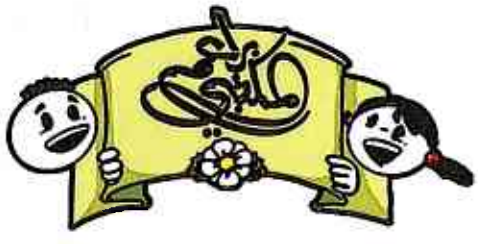

الطبعة الأولى

2017 - 1438

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزءٍ منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الإلكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي.

دمشق - الشارقة - القاهرة

دمشق هاتف 00963112248433 فاكس 00963112248432 ص.ب 31426

الشارقة هاتف 0097165512262 فاكس 0097165512264 ص.ب 3309

e-mail:daralbaraem@gmail.com almaktabi@gmail.com

www.almaktabi.com

ابتغَاءَ وَجْهِ الله سُبْحانَه

وَهَذِهِ حِكَايةٌ أُخْرَىٰ فِيْها العِبَرُ والعِظَاتُ ، حَيْثُ وَاجَهَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ مُعْضِلةً عَصِيبةً ولَمْ يَكُنْ لَهمْ إلاَّ أَنْ يَتَذَكَّروا أَعْمالاً صَالِحةً نَبِيلةً ليَدْعُوا اللهَ بِهَا عَسَىٰ أَنْ يُفرّجَ عَنْهُم:

فِي صَحيحِ البُخارِيِّ عَنِ ابنِ عُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «خَرَجَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُم المَطَرُ ، فَدَخلُوا في غارٍ في جَبَلٍ ، فانحطَّتْ ـ أَيْ: وَقَعَتْ عَلَيهِمْ ـ صَخْرةٌ.

قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهم لبعَضٍ: ادْعُوا اللهَ بأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُموهُ.

فَقَالَ أَحَدُهُم: اللَّهُمَّ إِنَّي كَانَ لي أَبَوانِ شَيْخانِ كَبِيْرَانِ ، فَكُنْتُ أَخرُجُ فَأَرْعَىٰ ، ثُمَّ أَجِيءُ فأحلُبُ ، فَأجيءُ

بالحِلاَبِ ـ أَيْ: بالإنَاءِ الذّي يَحلبُ فِيْهِ ـ فَآتي بِهِ أبويَّ فَيشْربَانِ ، ثُمَّ أَسْقِي الصِّبْيةَ وأَهْلِي وامْرأَتِي.

فاحتبستُ لَيْلةً ـ أَيْ: فَحَدثَ مَا أَدّىٰ إِلَىٰ تَأَخُّرِ مَشْربهما عَنْ مَوْعِدهِ المُعْتَادِ ـ فجئْتُ ، فإِذَا هُما نَائمانِ.

قَالَ: فَكَرِهْتُ أَنْ أوقظَهُما ، والصِّبْيةُ يتَضَاغَوْن ـ أَيْ: يَتصايَحونَ ويتَباكُونَ ـ عِنْدَ رِجْلَيَّ ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبي وَدَأْبَهَما حَتَّىٰ طَلَعَ الفَجْرَ ، اللّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابتغاءَ وَجْهِكَ ، فافرُجْ عنَّا فُرجْةً نَرَىٰ مِنْها السَّمَاءَ.

قَالَ: ففُرِّجَ عَنْهم.

وقَالَ الآَخَرُ: اللَّهُمَّ إنّكَ كُنتَ تَعْلَمُ أَنّي كُنتُ أُحبُّ اِمرأةً مِنْ بَنَاتِ عَميّ كأَشَدِّ ما يُحِبُّ الرجُّلُ النِّسَاءَ.

فَقَالَتْ: لاَ تَنَالُ ذَلِكَ منها حَتَّىٰ تُعطيها مِئَةَ دِينَارٍ ، فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّىٰ جَمْعُتها فَلمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيها ، قَالَتْ: اِتَّقِ اللهَ ولا تَفُضَّ الخَاتَمَ إلاّ بحقِّهِ ، فقمْتُ وتركْتُها.

اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتغَاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عنّا فُرجَةٍ.

قَالَ: فَفُرِّجْ عَنْهُمُ الثُّلثَيْنِ.

وقَالَ الآَخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنّي استأْجَرْتُ أَجِيْرَاً بِفَرَقٍ - وهَوَ وِعَاءٌ لكيلِ الحبُوبِ يُعادِلُ قُرابةَ أَرْبَعةِ أَمْدَادٍ - من ذُرةٍ ، فَأَعْطيتُهُ وأَبَىٰ ذَلِكَ أَنْ يَأْخُذَ ، فَعمدتُ إِلَىٰ ذَلِكَ الفَرَقِ فزَرَعتُهُ ، حَتَّىٰ اشْتَرَيْتَ مِنْه بَقَراً ورَاعِيها.

ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ أَعْطنِي حَقّي.

فَقُلْتُ: اِنطلقْ إِلَىٰ تِلكَ البَقَرِ ورَاعِيْها فِانَّها لَكَ.

فَقالَ: أَتسْتَهزِىءُ بِي؟

قَالَ: فقلتُ: ما أَسْتَهزِىءُ بِكَ ، ولكنَّها لَكَ.

اللَّهُمَّ إِنْ كُنتَ تَعْلَمُ أَنَّي فَعلتُ ذَلِكَ ابتغاءَ وَجْهِكَ فافرج عَنَّا ، فَكُشِفَ عَنْهم». البخاري: [٢٢١٥].

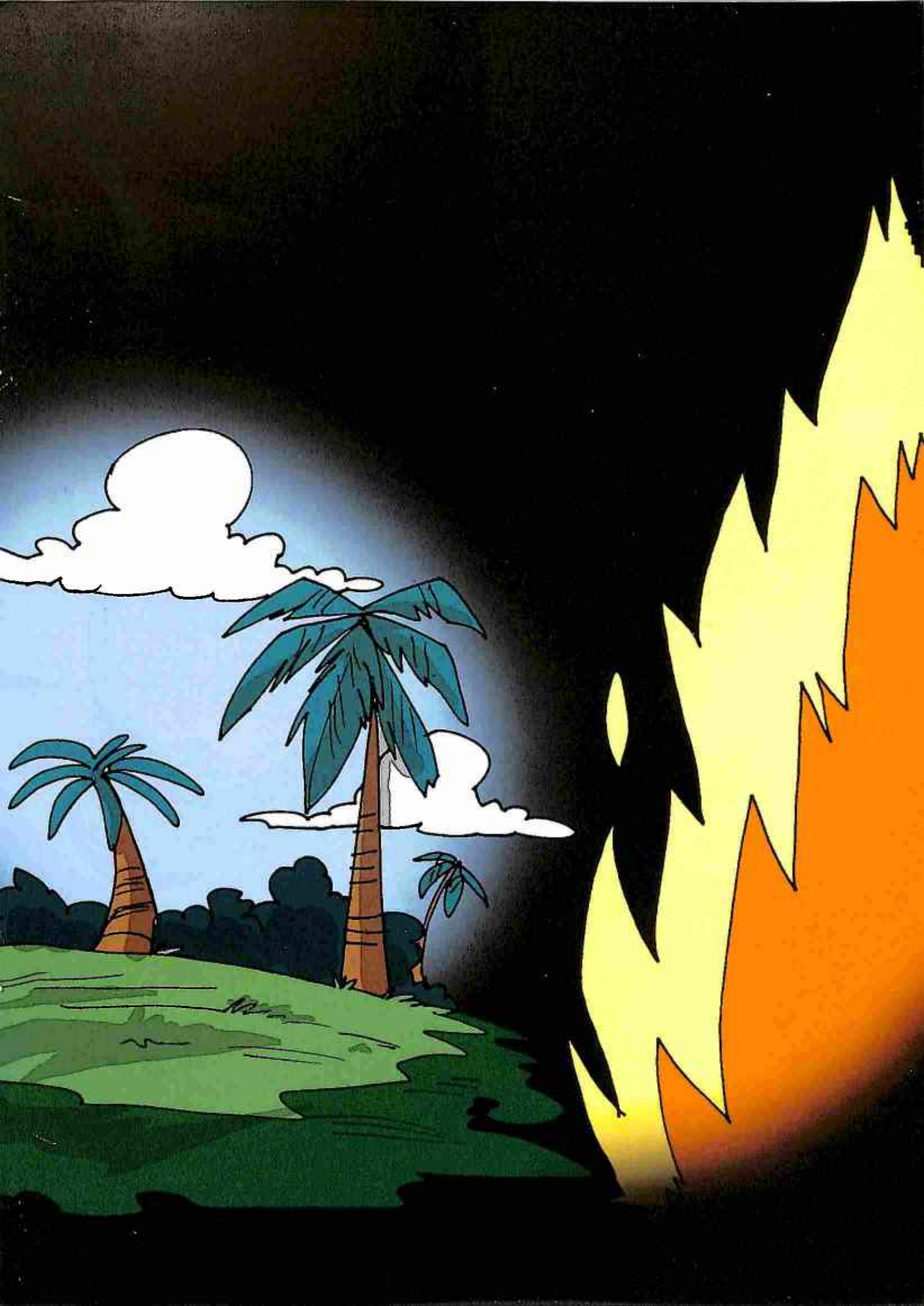

منْ صُوَر النَّـــار!!

وهَذِهِ حِكَايَةٌ أُخْرَىٰ مِنَ الحِكَاياتِ النَّبويّةِ التّي فِيْها العِبَرُ والعِظَاتُ والفَوائِدُ ، بحيْثُ إنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ ذَاتَ مَرّةٍ في سُجُودِهِ بَيْنَ يَدي رَبِّه سُبْحانَه ، إذْ عُرِضْتُ عَلَيه الجنَّةَ ، وأدنيت مِنْهُ النَّار ، فَرَأىٰ فِيْهما مَشاهِدَ وصُوراً مِنَ العَذَابِ والنَّعِيم.

ومِنْ تِلْكَ الصُّور التي رَآها في النَّارِ رَأَىٰ هِرَّةً تَخْدِشُ امْرأَةً ، ثُمَّ عَلِمَ أَنَّ ذَلِك جَزاءَ مَا كَانَتْ تَفْعَلُه المرْأَةُ بالهرَّةِ في الدُّنْيا:

فِي مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ عَنْ أَسْماءَ بِنْتِ أَبي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما:

أَنَّ النَّبيِّ ﷺ صلى صَلاَةَ الكُسُوفِ ، فَقَامَ فَأَطَالَ القِيامَ ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكوعَ ، ثُمَّ قَامَ فَأَطَالَ القِيامَ ، ثُمَّ رَكَعَ فأَطَالَ الرُّكُوعَ ، ثُمَّ رَفَعَ ، ثُمَّ سَجَدَ فَأَطَالَ السُّجُودَ ، ثُمَّ رَفَعَ ، ثُمَّ سَجَدَ فأَطَالَ السُّجودَ ، ثُمَّ قَامَ

فأَطَالَ القِيامَ ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ ، ثُمَّ رَفَعَ فأَطَالَ القِيَامَ ، ثُمَّ رَكَعَ فأَطَالَ الرُّكُوعَ ، ثُمَّ رَفَعَ فَسَجد فأَطَالَ السُّجودَ ، ثُمَّ رَفَعَ ثُمَّ سَجَدَ فأَطَالَ السُّجُودَ ، ثُمَّ انصرفَ فَقَالَ:

«قَدْ دَنَتْ منّي الجنَّةُ حَتَّىٰ لو أجرأْتُ عَلَيْها لجئْتُكُم بِقطَافٍ مِنْ قِطَافِهَا أَيْ: لجئتُكُم بِعُنْقُودٍ مِنْ عَنَاقِيْدِهَا ـ

ودنَتْ منِّي النَّارُ حَتَّىٰ قُلْتُ: يَا ربِّ وأَنَا مَعَهُم؟

فَإِذا امرأةٌ حسِبتُ أَنّه قَالَ ـ تخْدِشهُا هِرّةٌ!

قُلْتُ: ما شَأْنُ هَذِهِ؟

قِيْلَ لي: حَبَسَتْها حتَّىٰ مَاتَتْ ، لا هِيَ أَطْعَمَتْها ولاَ هِيَ أرْسَلَتْها تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأرْضِ ـ أَيْ: من هَوامِها وحَشَراتِها ـ».

أَيْ: إنَّ تِلْكَ المَرْأَةَ لَمْ تَسْتَفِدْ مِنْ صَلاَتِها وصِيَامِهَا وتَصدُّقِها شَيْئاً ، وذَلِكَ لأَنَّهَا عَذَّبَتْ هِرَّةً ، وهِيَ مَخْلوقٌ مِنْ مَخْلوقَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ ، والخَلْقُ كَلُّهمْ عِيَالُ اللهِ ، وأَحَبُّهم إِلَىٰ اللهِ أَنْفَعُهم لِعيَالِهِ».

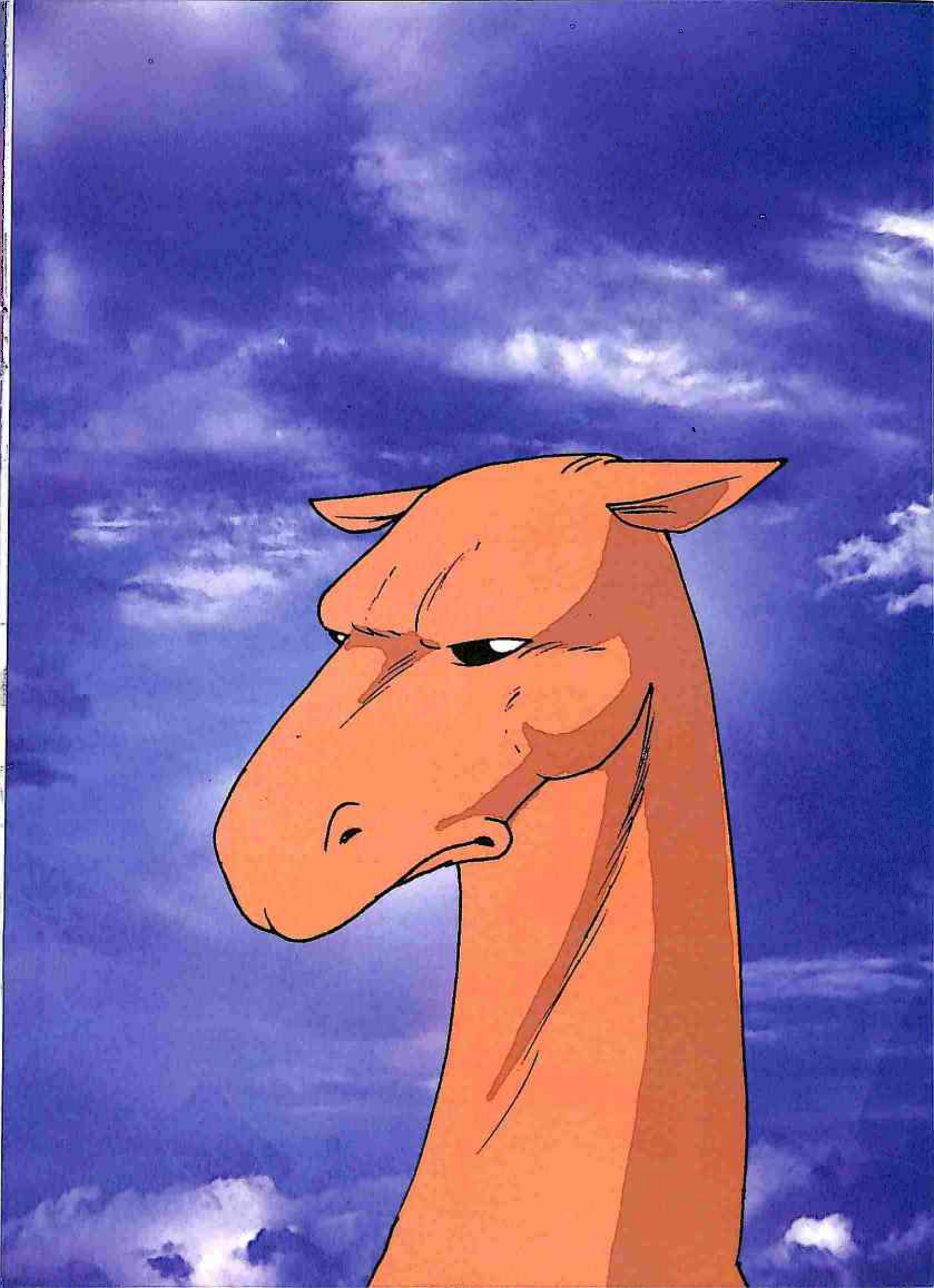

فالخطُّ المُستَقِيمُ في الإِسْلاَمِ هُوَ أَنْ لا يظلَم الإِنْسَانُ أَبداً ، لا إِنْساناً ، ولاَ حَيْواناً ولا نَبَاتَاً ، ولا طائراً ، ولاَ شَيْئَاً ، لأنَّ كُلَّ ذَلِكَ جُنودٌ مِنْ جُنُودِ اللهِ ، يُسَبِّحونَ اللهَ ويَسْجُدونَ لَهُ: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم: ٩٣ ـ ٩٥].

هَاتُوا خُطَامَ الجَمَلْ!!

وهَذِهِ حِكَايَةُ جَمَلٍ هَائِجٍ لجَأَ إِلَىٰ بُسْتَانٍ ، فَراحَ يَهْدِرُ ويؤْذِي النَّاسَ ، حتَّىٰ إنّهُ مَا دَخَل البُسْتانَ أَحَدٌ إلاّ هَجَم عَلَيْه!

والعَجِيْبُ أَنَّ ذَاكَ الجَمَلَ تَحوّلَ إِلىٰ حَمَلٍ وَديعٍ حِينَما نَادَاهُ الرَّسُولُ ﷺ فَبَرَكَ بَيْنَ يَدِيْهِ!

وفي تِلْكَ الحِكَايَةِ عِبرٌ وعِظَاتٌ وفَوائِدُ ، مِنْها: التَّصْدِيقُ بِمُعْجِزَاتِ الرَّسُولِ كتكليم الحَيواناتِ لَهُ ، وفَهْمِها ما يُريد مِنْها.

في مُسْنَدِ أَحْمَدَ وغَيْرِهِ ، عَنْ جابرِ بن عَبْدِ اللهِ رضَي اللهُ عَنْه قالَ:

«أَقبلْنا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ مِنْ سَفرٍ حَتَّىٰ إِذَا دُفعْنَا إِلَىٰ حَائِطٍ ـ أَيْ: بُسْتَانٍ أو حَدِيقَةٍ ـ مِنْ حِيطَانِ بني النَّجارِ ، إِذَا فِيْهِ جَمَلٌ عَظيمٌ قَطيمٌ ـ يعني هَائِجاً ـ لا يدخُلُ الحَائِطَ رجلٌ إلاّ شَدَّ عَلَيْهِ.

قَالَ: فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ أَتَىٰ الحَائِطَ ، فَدَعاهُ فَجَاءَهُ وَاضِعاً مشْفَرَه ـ أَيْ الشَّفَةَ ـ في الأَرْضِ حَتَّىٰ بَرَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «هَاتُوا خُطَامَه ـ أَيْ: الزِّمامَ الّذي يُوْضَعُ في أَنْفِ البَعيرِ ليَنْقادَ بِهِ ، فَخطَمَهُ ، ودَفَعَهُ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ الْتَفتَ إِلَىٰ النَّاسِ فَقَالِ: إِنّه لَيْسَ شَيءٌ بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ إِلاَّ وَيَعلَمُ أَنّي رَسُولِ اللهِ ، غَيْر عَاصِي الجنِّ والإِنْسِ».

مَا فَعَلَ النُّغَيْر؟!

وهَـذِهِ حِكَـايَـةٌ أُخْـرَىٰ يَظْهَـرُ مِـنْ خِـلاَلِهَـا حُـبُّ الـرَّسُـولِ ﷺ ومُـدَاعَبَتُـه لـلأَطْفَـالِ ، والاهْتِمَـامُ بِكـلِّ مَا يُدْخِلُ السَّرُورَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم.

فَقَـدْ كَـانَ لأَنَـسِ بـنِ مَـالِـك أَخٌ صَغْيـرُ ، يُلَّقـبُ (أَبا عُمَيْر) ، وعِنْدَهُ نُغير ـ وَهُو فَرْخُ العُصْفُورِ أَوِ البُلْبل ـ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ ، وكَانَ النَّبيُّ صَلواتُ اللهِ عَلَيْهِ إِذَا رَآه سَأَلهُ عَنْ طَائِرِهِ!!

في صحيحِ مُسْلمٍ أَنَّ أَنَسَ بنَ مَالكٍ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقاً. وكَانَ لي أَخٌ يُقَالُ لَهُ: (أَبو عُمَير) ، قَالَ: فَكَانَ إِذَا جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرآهُ ، قَالَ: «يا أَبَا عُمَيْرُ! مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟» قَالَ: فَكَانَ يَلْعَبُ بِهِ!!

* * *